

أي مكانة لمؤلفات النساء في عالم تسيطر عليه كتب الرجال

الكاتبات العربيات يتحدین ثقافة الإقصاء ويؤكدن قدرتهن على الإبداع

يحفل العالم العربي والغربي بأسماء مؤلفات أعطت صورة مشرقة عن النساء الكاتبات اللواتي وقفن سدا منيعا في وجه القهر والجهل، وأثرن بدرجات متفاوتة في صناعة التاريخ الثقافي والتنويري لمجتمعاتهن، لكن النظرة للكاتبات ما زالت متباينة بشكل كبير، وتختلف الآراء كثيرا حول مدى جودة ما يكتبه.

جائزة مان بوكر الدولية اعتبر الكثير من النقاد والكتاب أن ذلك التنوع غير الانطباعات السائدة عما تكتبه المرأة ويدعو إلى الاهتمام أكثر بما تكتبه النساء باللغة العربية.

مقياس الجودة

لكن رغم الحماسة التي راقت منح الحارثي جائزة مان بوكر الدولية، وشعور الكاتبات بأن الجوائز الأدبية ستصبح أكثر عدلا من حيث المساواة بين الجنسين، فإن رأي المشككين يغير السؤال من جديد: هل المرأة في العالم العربي كاتبة موهوبة أو مؤلفة حقيقية؟

ويبدو أن الناقد العراقي رضا الأعرجي قد أجاب عن هذا السؤال عندما علق على فوز الحارثي بجائزة مان بوكر بقوله "المرأة المحجبة، لا يمكن أن تدع في الأدب، شعرا أو قصة أو رواية. هذا رأي الشخصي لا يلزم أحدا، والهدف منه ليس النيل من العمانيّة جوخة الحارثي الفائزة بجائزة انترناشيونال مان بوكر البريطانية المرموقة. كما لا أعني بذلك أن المرأة السافرة مبدعة بالضرورة".

وأضاف "لفتني وصف صحيفة الغارديان لرواية 'سيدات القمر' بأنها تقدم لمحة عن ثقافة غير معروفة نسبيا في الغرب". ترى هل ما زال الغرب يستنار بعجائب ثقافتنا وغرائبها، ولم تتسببه، مثلا، روايات الطاهر بن جلون وغيره من الروائيين الذين يتملقون مشاعر القارئ الأجنبي! وهل كان لهذه (لمحة) دور في الفوز بالجائزة؟ الحجاب قيد.. والإبداع حرية. وهما خطان متوازيان مهما امتدا لا يلتقيان. يمكن للمرأة المحجبة أن تكتب، لكن من غير المتوقع أن تبعد، لأن من الصعب عليها أن تذهب بعيدا، فتخرج من قيودها وعن 'قوابل الأمة'، وتقفر على تقاليد مجتمعاتها الصارمة".

وتابع الأعرجي "كثيرون يكتبون لكن لا يبدعون، فالكتابة مهارة أما الإبداع فهو موهبة لا يمتلكها كل من مارس ويمارس الكتابة. ومن الوهم، والأحرى العيب، أن نبحت عن الأخلاق والفضائل في الإبداع. أروع الأعمال كتبها منهكوتون وشاربو خمر ومتعاطو مخدرات ومثليون وأصحاب سوابق ومتشردون. لن أستشهد ببوليفر أو هنري ميللر أو سيلفيلا بلاث أو جان جينيه، فنحن كافة مشهود لها بالشعر، لدينا أدلتنا الشاخصة ابتداء من اسرق القيس، مروراً بابي نؤاس، وصولاً إلى الجواهري بالمناسبة، جواهرينا لم ينطلق، ويمتلك ناصية الإبداع، إلا بعدما رمى عمامته في الكناسة".

إلا أن الروائية التونسية هند الزيايدي ترى أن الجوائز الأدبية ليست مقياساً للجودة، بل تبقى مجرد معيار نسبي، يخضع في بعض الأحيان لاعتبارات أخرى غير الأدب، وبالتالي فليس غريباً أن تبقى أسماء روائية كبرى خارج دائرة المتوجّين سواء تعلّق الأمر بالنساء أو حتى بالرجال، مشيرة إلى أن المعيار الجندي في بعض الجوائز ليس له وزن، لكن هذا لا يعني بالنسبة إليها أن المرأة الكاتبة قد تخلّصت من وصمة جنسها وصارت تعامل معاملة متساوية مع زميلها

الكاتب، ولذلك فمن الصواب بمكان الاعتراف بوجود كوكتيل من المعوقات التي تحول أوالا دون تميّز الأعلام النسائية، وبالتالي تحول دون تقدّم هذه الأسماء للمنافسة على الجوائز، بدءاً من عالم النشر نفسه، ووصولاً إلى عملية الإبداع التي لم تكن يوماً يسيرة أو هيّنة على المرأة، وخاصة في ظل مجتمعات ما زالت لم

تكتفيهن. وفي عام 2019 عندما فازت الكاتبة العمانيّة جوخة الحارثي عن روايتها "سيدات القمر"، بوحدة من كبرى الجوائز التي يتم منحها للروايات الأفضل حول العالم كل عام، وهي

بصينة حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن



حققت الكثير من الكاتبات العربيات النجاح واحتلت مؤلفاتهن رفوف المكتبات، لكن بعض الفروق المهمة، التي لا تزال موجودة بينهن وبين أقرانهن من الكتاب، هي سيطرة الرجال على مجالات الكتابة بمختلف أنواعها، وهو ما يجعل الكتابة أشبه بالعالم الذكوري. ولا يقتصر عدم التوازن بين الكتاب من الجنسين على المؤلفات فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الشخصيات في الروايات، التي يهيمن عليها الرجال، كما أنه غالباً ما تمنح الجوائز الأدبية إلى الكتاب الرجال. وهناك قدر من التحدي يواجه الكتاب بشكل عام، ويرتبط بواقع مجال النشر الذي أصبح ضيقاً أمام الكثيرين، لكن نمّة نوعاً خاصاً من التحدي تواجهه المرأة في عالم النشر، وهو جزء من تحد أكبر لإنجاب الذات والهوية والدور الاجتماعي. وبما أن الحال كذلك، فإن القليل من النساء العربيات يبرزن على أغلفة الكتب، وفي المدونات، وفي نوافذ دور النشر، وعلى القوائم القصيرة للجوائز.



وسلّطت مجلة فوغ الأميركية التي أطلقت عام 1892 والتي تصدر بلغات عديدة وبالملايين من النسخ الموزعة في العالم كله، في عددها الذي صدر في مايو الماضي الضوء على خمس كاتبات عربيات ترى أنهن أسهمن بحق في إثراء الأدب في فضاءات تتجاوز بكثير حدود العالم العربي.

وقالت المجلة إنها عملت على اختيار خمس كاتبات عربيات ترى أنهن قادرات على حمل قرائها على إثراء "رصيدهم اللغوي" و"تنمية ذكائهم" وعلى الحفاظ على الصحة وخفض نسبة التوتر لديهم وإطلاق ملكة الخلق عندهم. أما الكاتبات اللواتي احتفت بهن المجلة، فهن غادة السمان ونوال السعداوي وآسيا جبار وإنعام كجه جي وسحر خليفة.

وتوجد نماذج أخرى عديدة لأديبات وشاعرات وروائيات أحدثت تجربتهن علامة فارقة في مجالات الكتابة، ووضعن بصماتهن في التاريخ الثقافي والتنويري لمجتمعاتهن. ويمكن إدراك القوة المتنامية للنساء الكاتبات في العصر الحالي، إضافة إلى قدرتهن على جعل متطلبات النسوة وكضايهاتهن في صدارة الاهتمامات، لكن في ظل وجود الألاف من الكتاب الرجال، تضيق مؤلفات النساء في زحمة ما يكتبه الرجال، فضلاً عن أنها قد لا تلقى استجابات لدى معظم النقاد، ما يجعل نصيبهن من الشهرة قليلاً، ويؤثر ذلك بشكل كبير على مبيعات كتبهن.

وفي عام 2019 عندما فازت الكاتبة العمانيّة جوخة الحارثي عن روايتها "سيدات القمر"، بوحدة من كبرى الجوائز التي يتم منحها للروايات الأفضل حول العالم كل عام، وهي



عندما تتوقف النساء عن القراءة ستموت الرواية

أن يكبل عمل الجوائز ويقيّد مرونتها ويرغمها على تخصيص حصص بناء على الجنس واللون والجنسية والاضطهاد الذكوري المتخيل، والذي يبدو مستدرجا من معجم النيل من سلطة الرجل التي تختم بظلالها عادة في مجتمعاتنا نتيجة ظروف تاريخية واجتماعية متراكمة. وقال حسين لـ "العرب"، "لا أميل إلى الأفكار النمطية والأحكام الجاهزة التي تركز على إظهار المرأة على أنها محاربة ومضطهدة ومظلومة في حلها وترحالها، وإنما ألق بتناجها أو إبداعها، ولا أجد في تكرار الأمر على أنه تحيل للحقوق أو انتزاع لها من برائن الرجال...".

وأضاف "الإبداع لا يرتبط بجنس، ولا يقيد بذكورة أو أنوثة، وهناك حالات كثيرة ينتصر فيها الإبداع للقضايا التي تعتبرها بعض النساء أنها حكر على المرأة وأنها تدرك كتبها ويمكنها سبر أغوارها أكثر من الرجال، لكن في الحقيقة القضايا لا تجزأ ولا تصنف وفق خانة التجنيس، بل تخرج عن القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة إلى رحابة الفكر وثراء عالم الأدب الذي لا يمكن فرض حواجز أو قيود عليه بأي شكل من الأشكال".

وشدد على أن التمييز المحتمل في الإقبال على شراء مؤلفات المرأة أمر لا يمكن التكهّن به أو حسمه، بسبب عدم وجود إحصائيات دقيقة في العالم العربي، مشيراً إلى أن هناك ما يمكن وصفه بـ "التمييز الإيجابي" حيث يفضل بعض القراء اقتناء أعمال الكاتبات، لا من زاوية التلصص على حيواتهن أو خبايا نفوسهن التي يمكن أن تظهر أو تبرز في مقاطع أو مشاهد في كتابها، بل من جهة اكتشاف عوالمها التي يتأمل أن تكون سحرية وثرية وغريبة وجديدة ومختلفة.

وتابع حسين حديثه موضحاً "أما بالنسبة للتوظيف في دور النشر، فهو عائد إلى سياسة العمل ورغبة رب العمل واستراتيجياته وميزانية دار النشر وغير ذلك من التفاصيل، وأعرف عدداً من المؤلفات: سواء كاتبات أو محررات أو صحافيات أو إداريات، في مواقع قيادية إدارية في دور نشر عربية مرموقة.. كما أعرّف دور نشر تدار من قبل مدير الدار فقط، فهو الذي يؤدي جميع الأعمال، ويشرك معه بعض الموظفين فقط أثناء المشاركة في المعارض".

ويرى أن الجوائز "المرموقة" قليلة في العالم العربي وتكاد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وأما الجودة فأمر مختلف عن المحاصصة، فلا يمكن الحديث عن حصّة ثابتة للمرأة في أي جائزة فقط لأنها يجب أن تكون لصالح نتاجها، بغض النظر عن مستواها أو جودتها، لأن من شأن هذا

بل يرى أن هناك حضوراً دائماً لها يتناسب مع نتاجها، بعيداً عن أي شعور بالظلمة، ولا أي نوع من أنواع الاضطهاد الذكوري المتخيل، والذي يبدو مستدرجا من معجم النيل من سلطة الرجل التي تختم بظلالها عادة في مجتمعاتنا نتيجة ظروف تاريخية واجتماعية متراكمة.

وأضاف "الإبداع لا يرتبط بجنس، ولا يقيد بذكورة أو أنوثة، وهناك حالات كثيرة ينتصر فيها الإبداع للقضايا التي تعتبرها بعض النساء أنها حكر على المرأة وأنها تدرك كتبها ويمكنها سبر أغوارها أكثر من الرجال، لكن في الحقيقة القضايا لا تجزأ ولا تصنف وفق خانة التجنيس، بل تخرج عن القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة إلى رحابة الفكر وثراء عالم الأدب الذي لا يمكن فرض حواجز أو قيود عليه بأي شكل من الأشكال".

وشدد على أن التمييز المحتمل في الإقبال على شراء مؤلفات المرأة أمر لا يمكن التكهّن به أو حسمه، بسبب عدم وجود إحصائيات دقيقة في العالم العربي، مشيراً إلى أن هناك ما يمكن وصفه بـ "التمييز الإيجابي" حيث يفضل بعض القراء اقتناء أعمال الكاتبات، لا من زاوية التلصص على حيواتهن أو خبايا نفوسهن التي يمكن أن تظهر أو تبرز في مقاطع أو مشاهد في كتابها، بل من جهة اكتشاف عوالمها التي يتأمل أن تكون سحرية وثرية وغريبة وجديدة ومختلفة.

وتابع حسين حديثه موضحاً "أما بالنسبة للتوظيف في دور النشر، فهو عائد إلى سياسة العمل ورغبة رب العمل واستراتيجياته وميزانية دار النشر وغير ذلك من التفاصيل، وأعرف عدداً من المؤلفات: سواء كاتبات أو محررات أو صحافيات أو إداريات، في مواقع قيادية إدارية في دور نشر عربية مرموقة.. كما أعرّف دور نشر تدار من قبل مدير الدار فقط، فهو الذي يؤدي جميع الأعمال، ويشرك معه بعض الموظفين فقط أثناء المشاركة في المعارض".

ويرى أن الجوائز "المرموقة" قليلة في العالم العربي وتكاد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وأما الجودة فأمر مختلف عن المحاصصة، فلا يمكن الحديث عن حصّة ثابتة للمرأة في أي جائزة فقط لأنها يجب أن تكون لصالح نتاجها، بغض النظر عن مستواها أو جودتها، لأن من شأن هذا

لا دور نشر تدعم ولا قارئ يشتري

واشنطن - كشفت دراسة نشرتتها صحيفة "الغارديان" البريطانية أن الكتب التي تؤولفها كاتبات تباع في المتوسط بأقل من نصف سعر الكتب التي يؤولفها الرجال.

وأجرت الدراسة عالمة الاجتماع دانا بث واينبرغ وعالم الرياضيات آدم كابيلنر من جامعة كوينز كوليدج، عن عينة تتكون من أكثر من مليوني كتاب نُشرت في أميركا الشمالية.

وحلل الباحثون جنس كل مؤلف سواء من الإناث أو الذكور مع مقارنة المعلومات حول السعر والنوع الأدبي ودور النشر.

ووجد الباحثون أن الكتب التي أصدرتها النساء والتي نشرها ناشرون معروفون كانت أسعارها في المتوسط أقل بنسبة 45 في المئة من كتب الرجال.

وأشار الباحثون في دراستهم التي نشرت في المجلة العلمية "بلوس وان" (PLOS One) إلى أن الكاتبات يولفن غالباً روايات رومانسية، تُسعر عموماً بأسعار أقل من الأنواع التي يسيطر عليها الرجال مثل الكتب العلمية. وحتى مع مراعاة هذه الاختلافات، وجد الباحثون أن أسعار المؤلفات التي تحمل أسماء نسائية كانت أقل بنسبة 9 في المئة من المؤلفات التي تحمل أسماء ذكور.

وعلمت دانا واينبرغ على الدراسة بقولها "نظرتنا في جميع أنواع التمييز الثلاثة، كالفصل بين الجنسين حسب النوع الكتابي، والأسعار المختلفة الموضوعة لهذه الأنواع، ثم في النهاية التمييز في الأنواع الأدبية ذاتها، وقد كانت نتائج الدراسة مهمة للغاية، فقد سلطت الضوء على قضية عدم تمثيل الكاتبات في أنواع أدبية معينة، كما أن الكتب التي تؤولفها النساء في الغالب مثل الروايات الرومانسية والنسائية لا تحظى بالتقدير الذي تستحقه".

ونظرت الدراسة أيضاً إلى المؤلفات التي نُشرت بشكل ذاتي فوجدت أنه عندما كان المؤلفون ينشرون كتبهم بأنفسهم، كانت هناك مساواة أكبر بين الجنسين، على الرغم من وجود فجوة في السعر تبلغ 7 في المئة. وقالت واينبرغ "من دون الناشرين، نرى تمييزاً أقل بشكل طفيف، لكنه ما زال واضحاً، ويتبع نفس الأنماط. إن الإجابة السهلة عن هذا التفاوت، هي أن شركات النشر محيزة جنسياً، لكن النتائج المستقلة تحدى هذا التفسير البسيط".

وأعربت الروائية فرانسيسكا سيجال الفائزة بجائزة كوستا للرواية عن غضبها تجاه نتائج الدراسة قائلة "لم تكن لدي أي فكرة عن الأمر، ولكنه مجهد. إنها الأخبار القديمة المؤطرة بشكل جديد، حيث تتقاضى النساء أقل مقابل نفس العمل".

وأضافت "لا يزال هناك افتراض بأن خيال الروائيين الرجال له جانبية عالية أكثر من خيال الروائيات، وأتصور أن هذا يلعب دوراً في الفجوة بين الأسعار، وأن أن الطريقة الوحيدة لمحاربة ذلك على المدى الطويل هي أن تستمر النساء في الحفاظ على هوياتهن في صناعة الكتابة والتأليف، ولا نخفي أنفسنا وراء أسماء مستعارة".

